

مقدمة:

مرحبًا بكم في "عيون على غزة"، تجمعنا اليومي للاحتجاج والتعلم. اليوم نستضيف الصحفي والناشط ميرون رابوبورت من سيحا ميكوميت "النداء المحلي"، الذي سيتحدث عن تدمير البيئة العمرانية في غزة تحت عنوان "تحويل غزة إلى غبار". كالعادة، سيتحدث ميرون لمدة ثماني دقائق، يليها نقاش قصير.

نص المحاضرة:

في كانون الأول/ديسمبر 2023، بعد شهرين من بداية الحرب، نشرت مقالًا بعنوان «هل ما تفعله إسرائيل في غزة يُعد إبادة سكنية؟» يُعتبر مصطلح "إبادة سكنية" (Domicide) مفهومًا حديثًا نسبيًا، يسلط الضوء على فجوة في القانون الدولي. فبينما يُعترف بتدمير المنازل غير المبرر كجريمة حرب، يفتقر القانون إلى تعريف دقيق للإبادة المنهجية للبيئات الحضرية بأكملها—مع أنّ مثل هذه الأفعال قد تكون مقدمة للإبادة الجماعية. في ذلك الوقت، كانت الأدلة تشير إلى أن الكثير من الدمار في غزة لم يكن مرتبطًا بالمعارك نفسها، بل حدث بعد انتهاء القتال بفترة طويلة. شهدنا عمليات هدم بارزة لمؤسسات رمزية مثل البرلمان الفلسطيني، والمحاكم، وجامعة الأزهر، بالإضافة إلى عشرات المباني السكنية في منطقة الشجاعية—وقد تم تصوير الكثير منها واحتفال الجنود الإسرائيليين بها. ورغم تبريرها بأسباب عسكرية، كان واضحًا أن حجم الدمار تجاوز بكثير أي حاجة تكتيكية فورية.

بحلول كانون الثاني/يناير 2024، أبلغ موقع الصحافة الاستقصائية "أحر مكان في الجحيم" (بالعبرية: המקום הכי חם בגיהנום) أن إسرائيل قامت بهدم ما يقرب من كل المباني الواقعة ضمن كيلومتر واحد من حدود غزة—مُنشئة ما يُعرف بـ"منطقة عازلة"—دون تصنيف هذه المباني كجزء من بنية تحتية إرهابية. واليوم، تُصنف حوالي 130 كيلومترًا مربعًا، وهو جزء كبير من غزة، كمناطق من هذا النوع. في أيار/مايو 2025، شاركت في تأليف تحقيق آخر بعنوان "الهدم لكي لا يعودوا". وقد جادلت—استنادًا إلى شهادات أكثر من عشرة جنود والعديد من الفيديوهات—أن التدمير بحد ذاته أصبح العملية اليومية الأساسية للجيش في غزة. كانت المواجهات المباشرة مع حماس نادرة؛ إذ كُلف الجنود بالهدم الروتيني. وجذب أحد الحالات اهتمامًا واسعًا: ابراهيم زيربف، قاضي في المحاكم الحاخامية وقائد في الجيش الإسرائيلي، تفاخر على قناة التلفزيون الإسرائيلي 14 ووسائل التواصل الاجتماعي بتدميره شخصيًا 50 مبنى في الأسبوع باستخدام جرافته من نوع D9 بين تشرين الأول/أكتوبر 2024 وكنون الثاني/يناير 2025. لم يكن هذا الأمر واضحًا في أي مكان أكثر من رفح. بعد أن خرقت إسرائيل وقف إطلاق النار في آذار/مارس 2025، أصبح الهدم منهجيًا. ووفقًا لتحليل بصري أجراه الباحث أرانيل كان لـ"النداء المحلي"، لم يتبق سوى 4% فقط من مباني رفح سليمة بحلول أيار/مايو 2025. وقد تم مسح المدينة القديمة—التي ذُكرت لأول مرة في عام 1303 قبل الميلاد في عهد فرعون ستي الأول، والتي كانت يومًا ما موطنًا لأكثر من 250,000 نسمة.

كشفت تقارير الصحفيين نير حسون ويانيف كوفيفيتش وأوري مسغاف أن جزءًا كبيرًا من عمليات الجيش الإسرائيلي البرية الآن تتضمن مرافقة الجرافات. يُدفع للمقاتلين الخاضعين للعديد منهم من المستوطنات الإسرائيلية—مبلغ 2,500 شيكل لهدم منزل صغير و5,000 شيكل لهدم منزل أكبر. خان يونس تتحول بسرعة إلى رفح أخرى: تشير الصور الجوية إلى أن نصف مبانيها قد اختفت بالفعل. اقترح رئيس الوزراء نتنياهو مؤخرًا إعادة توجيه الجرافات التي تهدم خان يونس حاليًا لبناء "مدينة إنسانية" جديدة على أنقاض رفح—مما يشير بوضوح إلى نية مدروسة مسبقًا. ووفقًا للتقديرات الحالية، تم تدمير أو إلحاق أضرار جسيمة بـ180,000 مبنى في غزة منذ بدء الحرب—أي ما يعادل حوالي 73% من إجمالي المباني في القطاع.

المنطق العسكري، قبل كل شيء، هو الحفاظ على أقل عدد ممكن من خسائر الجنود الإسرائيليين. أعتقد أن هذا ينبع أيضًا من حقيقة أن العملية بأكملها في غزة هي عملية سياسية. الجيش يشعر بقلق كبير إزاء ارتفاع أعداد القتلى، ولذلك يسعى لتقليلها إلى الحد الأدنى. وعندما لا يفرض القانون الدولي قيودًا، يمكن هدم أحياء كاملة بذريعة الأمن—لأنه من الناحية العسكرية، إذا لم تكن هناك مبانٍ، فلن يكون هناك تهديد. والمنطق يتبع: إذا لم يكن هناك أشخاص، فلا تهديد. لذلك، وعلى الرغم من أن المتحدثين باسم الجيش الإسرائيلي يصرون على أن التدمير يتم لأغراض عملياتية بحتة، تظهر كل فيديوهات الميدان حجم الدمار الهائل وغالبًا ما يُبرر بأسباب أخرى—وأوضحها كعمل انتقامي. يُسمع الجنود في هذه الفيديوهات وهم يكرسون التدمير لرفيق سقط أو لهجوم سابق.

إلى هذا يجب أن نضيف البعد السياسي. إذا كان الهدف الحالي من الحرب في غزة هو تركيز السكان في الجزء الجنوبي من القطاع تمهيدًا لتجويرهم—لما يُسمى بـ"الترحيل الطوعي" الذي ذكره نتنياهو—فمن الطبيعي أن تُدمر المدن. يجب ألا يكون للفلسطينيين أي مكان يعودون إليه. وقد قال نتنياهو نفسه في اجتماع لجنة الشؤون الخارجية والدفاع: "نحن نهدم المزيد والمزيد من المنازل. ليس لديهم مكان يعودون إليه." والمعنى واضح تمامًا: بمجرد أن تختفي المنازل ولا يبقى شيء للعودة إليه، سيحدث ما يُسمى بالترحيل الطوعي—لأن الناس ببساطة لن يكون لديهم مكان ليعيشوا فيه.

لكن أعتقد أنه من الجدير إضافة تصريح آخر—ينبع من منطق أعمق حتى. أجريت مقابلة مع عالم الآثار رافي غرينبرغ، الذي أخبرني أنه كعالم آثار يدرس العصر البرونزي الوسيط—أي حوالي 1500 إلى 2000 قبل الميلاد—وخلال أكثر من 4,000 سنة من التاريخ في أرض إسرائيل، لم يشهد هذا المنطقة بين نهر الأردن والبحر أي دمار مماثل للدمار الذي تسببت به إسرائيل في عام 1948. وقال إن الدمار في غزة هو استمرار لهذا المسار. كلماته بقيت عالقة في ذهني. إن حجم الدمار—الذي لم يشهد مثيلاً له ليس فقط في تاريخ هذه المنطقة بل تقريباً في أي مكان آخر في العالم—لا يهدف فقط إلى منع الناس من العودة. بل أيضاً يهدف إلى جعلهم ينسون أنهم كانوا موجودين أصلاً، ومحو أي ذكرى لوجودهم في المستقبل. أعتقد أن الدمار الذي نشهده اليوم هو جزء من هذا المنطق. فهو ليس فقط لأغراض عملية، ولا حتى فقط لأهداف سياسية، بل يهدف إلى محو الوجود—لجعل الناس ينسون أن بشرًا قد عاشوا هنا يوماً ما.